مجلة عصور الجديدة– مصنفة ج- المجلد 9– العدد 3- (نوفمبر) 1441هـ/2019م
ردمد EISSN 2600–6324 / ISSN 2170-1636 / الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

التأريخ للغرب الإسلامي في كتاب " العيون والحدائق في أخبار الحقائق" لمجهول

The historiography of the Islamic Occident in the book ion to the « al-ʻAyoun wa al-Hadaeq fi Akhbar al-Hakaek » " for Anonymous

فـوزية كـرراز krarraz Fouzia
الدرجة: أستاذة محاضرة –أ-
قسم العلوم الإنسانية/ جامعة معسكر (الجزائر)
Fouzia.krarraz@univ-mascara.dz

صص59- 73

تاريخ استقبال المقال: 2019/09/01 تاريخ المراجعة: 2019/09/16 تاريخ القبول:2019/10/02

الملخص: شغلت فكرة كتابة التاريخ الكوني العالمي- ورد اللفظين عند اليعقوبي والمسعودي- أذهان بعض مؤرخي المشرق الإسلامي، بدءا ببدء الخليقة إلى غاية الخلافة الإسلامية، وبالتالي تميز بالشمولية أكثر. وكان اهتمامهم بالأقطار الإسلامية أمر فرضته وحدة التاريخ والسياسة، وبمعنى آخر الارتباط بالخلافتين الأموية ثم العباسية، وحتّم هذا الوضع ارتباط التاريخ بالجغرافية نتيجة شساعة الرقعة الجغرافية.

هذا ما ميز التدوين التاريخي في المدارس التاريخية المشرقية (المصرية، الشامية، العراقية)إلا أن هذه المدارس التاريخية تباينت فيما بينها من حيث الدقة والعمق والتنوع والشمولية، وراجع ذلك إلى طبيعة المصادر التي اعتمدتها والهدف من التأليف.

نقف في هذا المقال عند إحدى المصادر المشرقية غير معروفة لدى غالبية الباحثين في تاريخ الغرب الإسلامي، هو كتاب "العيون والحدائق في أخبار الحقائق" لمجهول. تكمن أهميته في أنه أرّخ لبعض أحداث الغرب الإسلامي، بل وانفرد وحفظ لنا بعض الأخبار استقاها من مصادر المغرب الإسلامي المفقودة، مع أنه اهتم فيه بتاريخ وحضارة الخلافة الإسلامية بالمشرق الإسلامي، ولم يكن تاريخ المغرب من اهتماماته. وتجدر الإشارة أن الكتاب في أجزاء، منشور منه الجزء الثالث والرابع،

والجزء السابع مطبوع لكن نادر جدا غير منتشر في أوساط الباحثين، في حين بقية الأجزاء مفقودة.

سنتعرض بالتحليل لمنهجه وأسلوبه في التعرض لأخبار الغرب الإسلامي من حيث السيرورة والتقطع والشمولية والعمق والسطحية، وكذا أسباب ذكره لبعض أخباره دون أخرى.

الكلمات المفتاحية: الخلافة الأموية؛ الخلافة العباسية؛ المدرسة التاريخية؛ مصادر مشرقية؛ الغرب الإسلامي؛ الأندلس؛ الأغالبة؛ الفاطميون؛ المنهجية؛ حركة التاريخ.

Abstract: The idea of writing universal history- the Two Words of Yakouni and Al Messaoudi- occupied the minds of most historians of the Islamic Orient From the beginning of creation to the Islamic Caliphate, thus characterized as more comprehensive. Their focus on Islamic countries was imposed by the unity of history and politics, in other words, the connection of the two caliphate, the Umayyad and Abbasid.

This situation inevitably linked history to geography as a result of the vast geographical area.

This is what characterized the historical codification in the historical schools of the East (Egyptian, Syrian-Jordanian and Lebanese , Iraqi), but these historical schools varied among them in terms of accuracy, depth, diversity and inclusiveness, and refer to the nature of the sources adopted and the purpose of authorship.We stand in this article at one of the Oriental sources unknown to the majority of researchers in the history of the Islamic West. It is the book "Oyoun Wa Hadaek Fi Akhbar Al Hakaek"(Eyes and Gardens in the News of Facts) for anonymous. The book importance lies in the fact that it chronicled some of the events of the Islamic West. and even saved some news from the sources of the lost Maghreb In fact, some of the news has been singled out and saved from the missing sources of the Islamic Maghreb, even though it cares about the history and civilization of the Islamic caliphate in the Islamic Orient and Morocco's history was not concerned in the book. It should be noted that the book is in parts, only parts III, IV, and VII are printed but very rare and not spread among researchers, while the rest are missing. We will analyze the methodology and style when we will expose the news of the Islamic West in terms of process ,discontinuity, comprehensiveness, depth and superficiality, as well reasons for mentioning some of his news

Keywords : Umayyad Caliphate; Abbasid Caliphate; historical schools; oriental sources; the Maghrib according; Andalus; the Aghlabid; the Fatimid; methodology; History movement.

مقدمة: لا يختلف اثنان حول أسبقية المصادر المشرقية بمختلف مدارسها في كتابة التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب بدءا بمرحلة الفتح الإسلامي، وظل المؤرخون المشارقة بمختلف مدارسهم المصرية والشامية والعراقية مهتمين بما يحدث فيه من أحداث لا سيما السياسية والعسكرية وكذا المذهبية في القرون الأولى من العصر الوسيط؛ فأرخوا للإقليم لأهداف ووجهات نظر مختلفة؛ فأثروا بذلك تاريخه بأوجه متفاوتة، وسنقف في هذا المقال عند أحد المصادر المشرقية غير المتداولة بشكل كبير ألا هو كتاب" العيون والحدائق في أخبار الحقائق" لمجهول.

الإشكالية التي تطرح في بحثنا هذا هي: على أي أساس انتقى صاحب "العيون والحدائق في أخبار الحقائق" بعض أخبار المغرب الإسلامي والأندلس وصقلية على اقتضابها دون غيرها من أحداث الغرب الإسلامي؟ ثم إلى أي حدّ يمكن أن نصنف هذا المصدر- بحسب ما هو متوفر منه- من ضمن المصادر المشرقية المعوّل عليها في دراسة تاريخ وحضارة هذا الإقليم الإسلامي؟

2- التعريف بالكتاب وصاحبه:

2-1- التعريف بالكتاب: كتاب "العيون والحدائق في أخبار الحقائق" مؤلفه مجهول، جاء في أجزاء وأغلبها في حكم المفقود، والجزء الثالث والرابع منه هو المتداول، ابتدأ الثالث بأحداث سنة 86هـ/705م في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي(86-96هـ/705-715م)، وأنهاه بخلافة المعتصم بالله العباسي (218هـ- 227هـ/833-842م)، وبالتالي تضمن جزءً من تاريخ الدولة الأموية وبداية قيام الخلافة العباسية إلى غاية ثامن خليفة فيها، طبع هذا الجزء برعاية ج. بريل (J. Brill) بليدن سنة 1871، متبوعا بالجزء السادس من كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه.

وطُبع الجزء الرابع في قسمين بتحقيق الباحث عمر السعيدي، نشر من قبل المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، نُشر القسم الأول سنة 1972، أما الثاني فكان سنة 1973.

واتضح أن بداية الجزء الرابع مبتور الأول؛ إذ يشير صاحبه أو الناسخ أنه يبتدأ بعهد الخليفة أبو جعفر الواثق بالله العباسي(227-232هـ/842-847م)، إلا أنه ابتدأ بعهد الخليفة أبو إسحاق المهتدي بالله العباسي (255-256هـ/869-870م)، أي أن

الفترة الممتدة مابين 227هـ/842م إلى غاية سنة 255هـ/869م هي مبتورة، وشملت خمسة خلفاء من بني العباس وهم: الخليفة أبو جعفر الواثق بالله، وأبو الفضل المتوكل على الله(232-247هـ/847-862م) ، وأبو جعفر المنتصر بالله(247-248هـ/862-862م)، وأبو العباس المستعين بالله(248-252هـ/866-869م)، وأبو عبد الله المعتز بالله(252-255هـ/866-869م)، أما القسم الأول منه فاحتوى أخبار سبعة خلفاء وهم: المهتدي بالله السابق الذكر، أبو العباس المعتمد على الله(256-279هـ/870-892م)، أبو العباس المعتضد بالله(279-289هـ/892-902م)، أبو أحمد المكتفي بالله(289-295هـ/902-908م)، أبو الفضل المقتدر بالله (295-317هـ/908-932م) وأبو المنصور القاهر بالله (320-322هـ/932-934م) ثم أبو العباس الراضي بالله(322-329هـ/934-940م)، أي أن هذا القسم امتد زمنيا من سنة 255هـ إلى سنة 329هـ/869-940م. وتجدر الإشارة إلى تجاوز ذكر خلفاء الفترة الزمنية الممتدة ما بين 317هـ إلى 322هـ/932-940م، وتداول على الخلافة فيها كل من الخليفة المقتدر بالله، والقاهر بالله سابقي الذكر. أما قسمه الثاني فقد شمل عهد ثلاثة خلفاء وهم: أبو إسحاق المقتفي بالله(329-333هـ/940-944م)، وأبو القاسم المستكفي بالله(333-334هـ/944-946م) وجزء من خلافة أبو القاسم المطيع بالله(334-363هـ/946-974م)، وبالتالي امتد هذا القسم زمنيا من سنة 329هـ/ 940م إلى غاية 350هـ/961م. على أن يبتدئ الجزء الخامس بأحداث سنة 351هـ/962م.

2-2- صاحب الكتاب: للأسف لم يبادر ولم يحاول الباحثين الناشرين للجزأين الثالث والرابع التطرق لصاحب الكتاب، وفي إشارة لإحدى الدراسات، أن المؤلف توفي سنة 350هـ/961م[1]، إلا أن هذا الاحتمال مستبعد تماما، بدليل أن جزءه الخامس بدأه بأحداث سنة 351هـ/962م، وهذا ما أشار إليه بنفسه أو بإقرار من الناسخ في ختام الجزء الرابع[2]، ويضاف إلى ذلك أنّ من المصادر التي اعتمدها المؤرخ مؤلف أبو عبد الرحمن العتقي المصري، وهذا الأخير توفي سنة 384هـ/994م. في حين صنف أحد الباحثين صاحب "العيون والحدائق" ضمن مؤرخي القرن السادس الهجري/12م[3]. وفي إشارة للمؤلف في إحدى شهاداته عن استمرارية دار الحسن بن سهل بمدينة السلام دارا للخلفاء العباسين إلى غاية عصره بقوله: "لأن المعتضد أحب بغداد، وترك

سُرَّ مَنْ رَأى، وسكن مدينة السلام، وهو أول من سكن هذه الدار التي فيها الخلفاء الآن"[4]، وهي دلالة على معاصرته للعصر العباسي الثاني(232-446هـ/847-1055م)، وبناء على المصادر التي اعتمدها؛ فإنه كان على قيد الحياة في نهاية القرن الخامس/11م.

2-3- منهجه في التأليف التاريخي: واجهتني في هذا البحث الكثير من العقبات؛ إذ أننا نفتقر إلى مقدمة المؤلف بحكم ضياع الجزء الأول، والتي عادة ما يوضح فيها المؤرخون أسباب ودواعي التأليف، ثم إن صاحب الكتاب مجهول، وهو أمر يصعّب معرفة انتماءاته السياسية والمذهبية، وعليه صعب الوقوف على منهجه ودوافع الكتابة عنده، ويعجزنا ذلك عن الخروج بأحكام نهائية، وما نستخلصه من نتائج هو موقوف على دراستنا للجزأين الثالث والرابع في انتظار ظهور الأجزاء المفقودة منه يوما ما.

أرّخ صاحب كتاب "العيون والحدائق" بالنمط الحولي دون أن يكون رائدا فيه، لأن سبقه في ذلك غيره من المؤرخين، على الرغم من أن هذا النمط من الكتابة يفتت الحادثة التاريخية بين سنة وأخرى، ويفقد الأخبار عنصر الوحدة والتكامل بسبب العودة المتكررة إليها، إلا أن صاحب "العيون والحدائق" لم ينتهج ذات المنهج؛ إذ كثيرا ما أكمل وصف الحادثة إلى غاية نهايتها، ويصل به الأمر حدّ التأريخ لسنوات لاحقة[5]، ثم يعود لإكمال الخبر الأول، مثل قوله: "... عاد بنا القول إلى إتمام حديث يزيد بن المهلب"[6]، وكذلك قوله: "ورجع بنا القول إلى إتمام حديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله"[7]، وكذلك "... عدنا إلى أحوال أبي العباس السفاح"[8]، ويمكن تصنيف منهجه التاريخي ضمن المنهج المتمحور على الخلفاء في الدولة الإسلامية، أي التأريخ للخلفاء وجعلهم يتصدرون الحركة التاريخية، وبالتالي يصبح عهد الخليفة المفصل التاريخي الذي ترتبط به كل الحوادث، وهو بذلك جمع بين نمط الحوليات والتأريخ على عهود الحكام، ويظهر ذلك جليا من قوله: "قد استوفينا ذكر خلافة هشام بن عبد الملك، وما كان فيها من الأحداث والوقائع والغزوات، وذكرنا طرفا من سيرته ونبذا، واتبعناه بما جرت عادتنا من اتباعه بذكر كل خليفة من ذكر ولده وكتابه ووزرائه وحجابه وقضاته والخوارج في أيامه"[9]. وبهذا يكون قد تبيّن لنا المنهج والهدف من التأليف إلى

حد ما، وهو الأمر الذي افتقدناه بافتقاد الجزء الأول من الكتاب. وبهذا يصبح منهجه على توالي العهود مستلهما من طريقة المؤرخ اليعقوبي(ت284 أو292هـ/897-905م)، الذي يفصح عن منهجه هذا في الجزء الثاني من كتابه بقوله: "وابتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله وخبره في حال بعد حال، ووقت بعد وقت إلى أن قبضه الله إليه وأخبار الخلفاء بعده، وسيرة خليفة بعد خليفة وفتوحه، وما كان منه وعمل به في أيامه وسنى ولايته..."[10]، وكذلك مشابه لمنهج المسعودي(283-346هـ/896-957م)، وإن لم يتضح ذلك في تقديم غرضه من التأليف، لكن يتبين جليا في ذكره لفحوى أبواب كتابه[11]، وعليه اعتبر كل من اليعقوبي والمسعودي عهود الخلفاء منطلقا لتأريخهما[12] مع اختلاف الثاني عن الأول بإهماله ذكر سنوات الحوادث تبعا لورودها في عهد كل خليفة.

وإن كان الانتماءات والميولات السياسية والمذهبية هي التي توقع بالكتابة التاريخية في مأزق الذاتية؛ فإن هذا المؤرخ وإن كان من الصعب الحكم عليه بتجرده المطلق منها؛ فإننا نعتقد أنه كان محايدا إلى حد كبير، وذلك لما ندرك أن فهمه للدولة كان كلا متكاملا متمثل في الخليفة ووزراءه وولاته وعماله، ونكاد نجزم بعدم انحيازه لأي مذهب وكتب تاريخ الدول بموضوعية؛ فقد كتب عن حكمة وعبقرية الخلفاء الراشدين[13]، ونبه إلى خصال الخليفة عمر بن عبد العزيز وذوده عن سيدنا علي كرم الله وجهه[14]. كما لم نلمس له ميلا لا للأمويين ولا للعباسيين ولا للفاطميين على الرغم من أنه أتى على ذكرهم جميعا في كتابه.

2-4- مصادره في تاريخ المشرق الإسلامي : صاحب كتاب "العيون والحدائق" من المؤرخين الذين صرحوا بمصادرهم المعوّل عليها في كتابة تاريخه إلا نادرا، وبحسب ما ورد عنده من مصادر، تبّين أنه انتقى الروايات من منابعها؛ فإنها عراقية في حديثه عن العراق، ومغربية في ذكر أخبار المغرب الإسلامي وأندلسية في تاريخ الأندلس.

كانت المصادر التي اعتمدها في تاريخ بلاد الرافدين كالتالي: اعتمد على المؤرخ الهيثم بن عدي (ت207هـ/822م)[15] في أخبار بعض الخلفاء الأمويين كالوليد بن عبد الملك، كما اعتمد عليه في أخبار العراق كولاية أموية[16]، واعتمد على المؤرخ ابن الكلبي[17] في أكثر من موضع، كما ارتكز على مؤلفات محمد بن عمر

الواقـدي(ت209هـ/825م)[18] في أخبـار المدينـة المنـورة ومكـة المكرمـة كـولايتين أمويتين[19]، ومن المحتمل أن كتابه " التاريخ الكبير" هو المعتمد بحكم أنه أرّخ فيه للدولة الإسلامية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية أحداث سنة 179هـ/ 795م أي إلى غاية خلافة هارون الرشيد[20]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه تم الاعتماد عليه بشكل كبير في جزئية الخلافة العباسية[21].

وكان المؤرخ يعقوب بن سفيان الفسوي(ت277هـ/890م)[22] ممن استند عليهم صـاحب "العيـون والحـدائق" فـي مؤلفـه[23]، إضـافة إلـى المـؤرخ الـدولابي (ت310هـ/923م)[24] الـذي اعتمـده في أخبـار خلافـة المهتـدي بـالله العباسـي(255-256هـ/869-870م)[25]، ومـن المصـادر التي اعتمـدها في كتابـة تـاريخ قيـام الدولـة العباسية مؤلفات أحمد بن إبراهيم(ت350هـ/961م)[26] وغير مستبعد أنه اعتمده كذلك في ذكر أخبار ثورة صاحب الزنج مع أنه لم يفصح بذلك، وكان المدائني (ت225هـ/839م)[27] أكثر مصدر معوّل عليه إذ ورد ذكره بدرجة كبيرة في الكتاب[28].

هذا وقد تبيّن للمحقق الباحث عمر السعيدي في أكثر من موضع اعتماد صاحب العيون والحدائق على المسعودي (ت346هـ/958م) إذ ذكر روايات على لسانه[29]، لكن بالمقارنة بين نصوص المصدرين، وإن اعتمد عليه، إلا أنه كثيرا ما ذكر الأحداث بشيء من التفصيل، على عكس المسعودي الذي كثيرا ما اختصر ونبّه إلى ذلك بقوله: "... ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلا أوردناه مفصلا، أو ذكرناه مجملا، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات، أو لوحنا إليه بفحوى من العبارات"[30]. كما استنتج ذات الباحث اعتماده على ابن مسكويه(ت421هـ/1030م) أكثر من مرة، مع أن المؤرخ لم يصرح بذلك[31]، لكننا نستبعد ذلك، وإن ورد أحيانا التشابه أو التطابق الجزئي في النصوص؛ فإنه ليس بدليل كاف باعتبار أن كليهما اعتمدا نفس المصادر التاريخية، ومن جهة أخرى نعتقد أن الفارق الزمني بينهما في التأليف لم يكن كبيرا.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن صاحب "العيون والحدائق" كثيرا ما كان ينقل الرواية بأسانيدها كقوله: "قرأت في تاريخ يعقوب بن سفيان، قال روي الزهري عن سعيد بن المسبب..."[32]، وقوله: "قال أبو محمد الفرغاني: حدثني دكا مولى الراضي..."[33]،

وأحيانا يكون السند مطولا إلى حدّ ما كقوله: "قال الفرغاني: حدثني أبو الحسين علي بن أحمد العجمي، قال حدثني صاحب دواه بن شيرزاد قال..."[34]، كما أن استعمال الأسانيد المختصرة تعود إلى الإخباريين مثل قال الواقدي، قال المدائني. وكثيرا ما يستخدم صيغة المجهول لما يعجز عن القطع برأي كقوله: "قالوا: وكانت ولاية الوليد سنة وشهرين..."[35]، و"قالوا: لما توفي أبو العباس..."[36]، وقوله: "وقد روي في موته سبب آخر"[37]، مما يثبت أنه اكتفى بالنقل في الغالب، ولم يكن ناقدا للرواية معتمدا على السند في ذكر بعضها، وهو بذلك شبيه بالطبري في منهج الكتابة التاريخية، قد يكون متأثرا به إن لم يكن نفسه محدثا.

ويُلاحظ غياب التصريح بمصادره بدءا من أحداث سنة 329هـ/940م إلى غاية سنة 350هـ/961م أي القسم الثاني من الجزء الرابع من الكتاب؛ إذ أورد أخبارا طوالا غير مسندة تمتد على عدد وافر من الصفحات، إن لم نقل في القسم كله، لكن هذا لا يجعلنا نشكك في صحة معلوماته، وننفي عنه صفة الدقة في الأخبار، مما يرجّح أنه كان شاهد عيان على بعض الأحداث، أو اعتمد الرواية الشفوية.

3- تاريخ المغرب الإسلامي في كتاب العيون والحدائق:

3-1- منهجه: تتلاقى في الكتاب عدة طرق في التأليف التاريخي،إذ جمع بين نمطين في الكتابة التاريخية، الأول التراجم للخلفاء، والثاني تدوين الأخبار التاريخية تبعا للتسلسل الزمني مشكّلة بذلك الكتابة عن نمط الحوليات؛ فهل تطرق لتاريخ المغرب الإسلامي بنفس منهج كتابة تاريخ المشرق الإسلامي، وهو الذي تعرض للدولة الأموية بالأندلس والدولتين الأغلبية والفاطمية بالمغرب الإسلامي؟

جاء أول خبر خاص بهذا الإقليم في الجزء الثالث في أحداث سنة 88هـ/707م بفتح موسى بن نصير لمدن عديدة من الأندلس[38]، إلا أن صاحب "العيون والحدائق" لم يكن ناقدا ومحققا للأخبار التي ينقلها؛ إذ أنّ تاريخ فتح الأندلس متفق عليه كان سنة 91هـ/709م، وما ذكر من أحداث سنة 88هـ/707م على أنها فتحا لبلاد الأندلس، فإنها في المصادر المغربية هي السنة التي أرسل فيها موسى بن نصير ابنه عبد الله إلى جزيرة ميورقة[39]، ولم يوصف في المصادر على أنه فتحا، وإنما هو مجرد غنيمة وسبى ورجوع مباشر[40]، وما كان ذكره لهذا الحدث إلا لعلاقته بأعمال الخليفة الأموي

الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-714م)؛ إذ كان هو من عزل حسان بن النعمان عن ولاية المغرب، وعيّن مكانه موسى بن نصير سنة 86هـ/705م[41]. وفي إشارة لصاحب العيون في صيغة التشكيك وليس التأكيد "قيل إنه لما فتحت الأندلس حملت إلى الوليد منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام من ذهب، وعليها أطواق ثلاثة للؤلؤ"[42] واكتفى بهذا، في حين ورد الخبر في أحد المصادر المغربية بصيغة التأكيد مع التفصيل في الحدث، وكذا إظهار تاريخ تلك المائدة وكيفية وصولها من بيت المقدس إلى مدينة طليطلة بالأندلس[43]، مما يعني أن صاحب العيون والحدائق أورد الخبر مختصرا.

وينقطع بعد ذلك إيراد أخبار المغرب الإسلامي إلى غاية أحداث سنة 150هـ/767م، وهي السنة التي ثار فيها الحسن الكندي على والي القيروان الأغلب بن سالم التميمي(148-151هـ/765-769م) من قبل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[44]. يقدم لنا صاحب العيون والحدائق الخبر مختصر جدا، في حين وردت تفاصيله في المصادر المغربية[45]. ثم يذكر بعد ذلك أحداث سنة 153هـ/770م، لما ثارت الإباضية بالمغرب، وحاصروا والي العباسيين عمر بن حفص فوجّه لهم الخليفة المذكور يزيد بن حاتم في ستين ألفا من الجند[46]. وهذا الخبر كذلك اختصر وقائعه، وحصره في أحداث السنة المذكورة، في حين لم ينته أمر هذه الثورة بنتائجها التي خلفتها إلا بعد ثلاث سنوات، أي في سنة 155هـ/173م[47].

ويتوقف عن ذكر أخبار المغرب الإسلامي إلى غاية سنة 179هـ/795م، وفيها قدم هرثمة بن أعين واليا على إفريقية من قبل الخليفة هارون الرشيد[48]، ثم يتطرق لأخبار تولية إبراهيم بن الأغلب على إفريقية من قبل نفس الخليفة في أحداث سنة 183هـ/779م بشكل مختصر لا يتجاوز نصف صفحة[49].

ويبدو مما سبق أن صاحب "العيون والحدائق" قد اهتم بذكر أخبار المارقين على الخلافة العباسية بولاية إفريقية، ثم بالثائرين على السلطة الأغلبية ومن ورائها العباسية؛ كتشكي الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي (261-289هـ/875-902م) من العبيد السودان سنة 280هـ/893م[50]، وخروج أهل إفريقية على ذات الأمير في نفس السنة[51]، وإيقاعه سنة 283هـ/ 896م بقبيلة نفوسة وعامله على طرابلس[52]،

وكذلك تتبع بعض إنجازات الأغالبة كفتح الأمير حبشي بن عمر بن عبد الله بن الأغلب مالطة أيام الأمير أبو الغرانيق الأغلبي سنة 256هـ/869م[53].

كما يبدو جليا أنه لم يكن مهتما بذكر أخبار ووقائع المغرب الإسلامي كل سنة، وفي هذا يكون قد اختلف تماما عن المنهج الحولي الذي اتبعه في كتابة تاريخ المشرق الإسلامي، واكتفى بذكر المحطات البارزة التي غيرت الأحوال السياسية المرتبطة بقرارات الخلافة بالمشرق، كما أنه لم يهمل ذكر مختلف الجوائح التي وقعت بإفريقية على اقتضاب الرواية؛ فذكر الزلازل والهزات التي كانت متكررة بالقيروان سنة 299هـ/911م، والوباء والطاعون الذي شاهدته القيروان نتيجة هبوب ريح صفراء سنة 307هـ/ 919م، "ومات فيها خلق عظيم، وكذلك كثير من الأطباء"[54].

لم نلمس في كتابته ميلا مذهبيا وهو يذكر أعلام الفقه المالكي بإفريقية، وخير دليل على ذلك أنه أورد المكانة العلمية الرفيعة للفقيه أبو عبد الله محمد بن سحنون(ت256هـ/869م)[55] في فترة عرفت المنطقة تنافسا وصراعا مستمرين بين المذهبين المالكي والحنفي الذي كان المذهب الرسمي للسلطة الأغلبية صنيعة الخلافة العباسية، وتجدر الإشارة إلى أنه نقلها حرفيا من ابن الجزار الذي عاصر الخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، بل وكان مقرّبا من خلفائها، مما يوحي أن ابن الجزار هو الآخر كتب بموضوعية، كما أن المؤرخ لم ينعت المذهب الشيعي الفاطمي بالمغرب بقبح، ولم يظهر تأييدا له، ذاكرا الصراع الفاطمي والأغلبي دون الميل لأحد الطرفين، ونفس الملاحظة سجلت على ذكره للصراع الزناتي الخارجي النكاري مع الخلافة الفاطمية[56].

كان اهتمامه بالعمارة مقتضبا كذكره بناء المهدية سنة 300هـ/912م[57]، ولم يكن ناقدا كذلك في جزئية تاريخ المغرب؛ إذ أطلعتنا المصادر أن تأسيس المدينة كان سنة 308هـ/921م، وهو التاريخ المرجح؛ إذ نجد ما يؤيده في المصادر الشيعية؛ فقد أشار القاضي النعمان(ت363هـ/974م) إلى أن الخليفة القائم بالله الفاطمي(322-334هـ/934-945م) انتقل إليها في شوال من نفس السنة وسكنها [58]، كما أشار صاحب " كتاب العيون والحدائق" إلى تعمير مدينة المنصورية التي أسسها الخليفة الفاطمي المنصور بالله(334-341هـ/945-952م)، وذلك بنقل صنائع أهل القيروان

إليها والسكنى بها سنة 345هـ/956م[59]. وتبيّن مرة أخرى أن المؤرخ كان ناقلا وفقط؛ بدليل أن مدينة المنصورية هي الأخرى عرفت تضاربا حول سنة تأسيسها[60].

2-3- مصادره في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي: وبخصوص المصادر المعوّل عليها في كتابة أخبار وتاريخ الغرب الإسلامي، فقد انتهج نفس النهج في الانتقاء، مع أنه لم يذكر باستمرار مصدر كل خبر ، وإنما من الحين والآخر، وهي لا تزيد على ثلاثة بحسب ما ورد في الكتاب نذكرها:

1- ابن الجزار القيرواني: هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبو خالد القيرواني، المعروف بابن الجزار، ولد بالقيروان سنة285 هـ/898م، لأسرة أفرادها اشتهروا بالطب، وتوفي بها عام 369هـ/979م، له كتاب التعريف بصحيح التاريخ، وهو تاريخ يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطع من أخبارهم، ودوّن كتابا يذكر فيه ظهور المهدي الشيعي بالمغرب[61]. ونعتقد أنّ هاذين المصدرين هما اللذان اعتمدهما صاحب كتاب "العيون والحدائق"، بدليل أنه كثيرا ما ذكر فقهاء المالكية بإفريقية ضمن الوافيات في نهاية كل سنة، إضافة إلى أخبار ظهور الدعوة الشيعية بالمغرب الإسلامي.

2- أبو عبد الرحمن محمد العتقي: هو محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، مؤرخ كان يُجالس الخليفة الفاطمي العزيز بالله(365-386هـ/975-996م)، وله عليه رزق وإقطاعات، ومن آثاره: التاريخ الكبير، الوسيلة إلى درك الفضيلة، سيرة العزيز[62]، ولو أن المؤرخ لم يصرح باعتماده هذا المصدر سوى مرة واحدة في ذكر بعض أخبار الخليفة إسماعيل المنصور بالله الفاطمي(334-341هـ/945-953م)[63]، لكن لا يستبعد الاعتماد عليه في أحداث محاولات الفاطميين المتكررة دخول مصر سنة 301-302هـ/913-914م[64] لأنه ذكر الأحداث تلك دون إسنادها للمصدر.

3- ابن عبد ربه[65]: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (246-328هـ/860-939م)، عاصر أمراء الدولة الأموية بالأندلس، له عدة مؤلفات أشهرها الكتاب الكبير المسمى "العقد الفريد" في أجزاء، وبحسب مضمون هذا كتاب، فإننا نعتقد أنه اعتمده في أخبار المشرق والمغرب الإسلاميين.

بناء على ما تقدّم، فإن مصادره في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي على قلتها تعتبر قوية جدا، بحكم معاصرتها للأحداث المذكورة، وتجدر الإشارة إلى أنه كثيرا ما يذكر المصدر بأسانيده كقوله: "قال ابن الجزار: فأخبرني عبد الله بن هيثم"[66]، وكذلك "وقال ابن الجزار: حدثني علي ابن إسحاق بن عمران المتطبب"[67]، وأيضا "وقال ابن الجزار: أخبرني أبو الحسن الجعفري أن ..."[68].

3-3- أهمية كتاب العيون والحدائق في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي: يشير أحد الباحثين أن لا قيمة للمصدر في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي، باعتبار أن مضمونه بخصوص هذا الإقليم لا تعكس أية رؤية لأنها غير معبّرة عن تطور الأحداث[69]، إلا أن القارئ بعناية ودقة، يجده يحوي معلومات لم ترد في مصادر المغرب الإسلامي، كما حفظ لنا بعض مضامين مصادر في حكم المفقود؛ فقد جاء على ذكر أسماء العديد من فقهاء المالكية بإفريقية ضمن الوفيات لم يرد ذكرهم في المصادر طبقات مالكية المغرب الإسلامي، ككتاب طبقات المالكية لأبي العرب التميمي(ت333هـ/945م)، أو رياض النفوس للمالكي، وترتيب المدارك للقاضي عياض، من ذلك نذكر الفقيه أبو العباس محمد الوراق الأندلسي المتوفي بسوسة سنة 285هـ/898م[70]، والفقيه أبو الحسن علي بن سلام الإفريقي (ت267هـ/880م)[71]، والفقيه سعيد بن بربر الأندلسي (ت273هـ/886م)[72]، وأبو جعفر الأربيسي المتوفي بسوسة سنة 334هـ/945م[73] وأبو الحسن بن إسماعيل الفرساني من رجال قصطيلية المتوفي سنة 262هـ/875م[74] وأبو محمد أحمد بن علامة التميمي المتوفي بالقيروان سنة 289هـ/901م[75]، هذا لأنه اعتمد على ابن الجزار القيرواني، وهو بذلك حفظ لنا ما هو ضائع من أخباره ومؤلفاته ككتاب "التعريف بصحيح التاريخ"، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطع من أخبارهم، ولا شك أنه المصدر الذي اعتمده صاحب العيون والحدائق في تراجم الوفيات، كما اعتمد على ذات المؤرخ في كتاب آخر له ذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب في جزئية الدعوة الفاطمية.

كما حفظ لنا صاحب العيون والحدائق مصدرا آخرا أرخ للفاطميين بالمغرب الإسلامي ومحاولاتهم دخول مصر، وهو للمؤرخ أبو عبد الرحمن العتقي المصري (ت384هـ/994م) الذي سبق ذكره، وهو مصدر معاصر للأحداث.

4- **خاتمة:** بناء على ما تقدم ذكره، يعتبر الكتاب تاريخا للسلطة السياسية بالدرجة الأولى، خلفاء وولاة وعمالا وقادة عسكريون بحسب أهمية الحدث، فهم وحدهم لب الحركة التاريخية، ولم يحتل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والحضاري منزلة هامة في تاريخه؛ إذ جاء ذكرها عرضيا بين الحين والآخر تتراءى في معترك الأحداث السياسية والعسكرية، وفرضته عليه كذلك منهج الكتابة الحولية.

وعلى الرغم من ضمور دور الخلفاء العباسيين في بعض الفترات؛ فقد بوأهم منزلة هامة في تاريخ العراق بالرغم من التجزئة التي أصابت هذه الخلافة ونشوء دويلات بمباركتها، والتي مارست أدوارا فاقت أدوار الخلفاء، وقادتها المتسلطين على شؤون العراق، بل وشكلت أحداثه الرئيسية، إلا أنها لم تحتل عند صاحب كتاب "العيون والحدائق" إلا حيزا ثانويا أو حدثا معبرا عن حالة المروق والخروج عن الخلافة العباسية.

كما اتضح أن المؤلف لم يكن مهتما بكتابة تاريخ المغرب الإسلامي على الرغم من حيازته على مصادر أساسية معاصرة لما كتب عنه، ولا يستبعد أن مضمون الكتاب شبيه بمضمون المسعودي واليعقوبي بحيث انطلق في تأليفه ببدء الخليقة مرورا على تاريخ البشرية، وصولا للخلافات الإسلامية إلى غاية عصره، كما نعتقد من بعض نصوصه أنه من بلاد الرافدين، أو من الوافدين عليها من بلاد فارس طلبا للعلم، أو ضمن العمل السياسي بالبلاط العباسي، وتجدر الإشارة إلى أننا لم نلمس له ميولات مذهبية أو سياسية بل كتب بموضوعية نسبية على الأقل.

ورد تاريخ المغرب الإسلامي في الكتاب- بحسب الجزأين الثالث والرابع- تاريخا اعتراضيا وإلزاميا فرضه منهجه في التأريخ لخلفاء الدولة الأموية في جزئية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، والتأريخ لخلفاء بني العباس في قسم الأغالبة، وكان إلزامية حتمية للمنافسة والصراع بين بني العباس والفواطم وأمويي الأندلس حول أحقية الخلافة، وبالتالي لم يكن التأريخ لبلاد المغرب من اهتمامه، بدليل أنه في ذكره أحداث وفاة أحمد بن الأغلب سنة 261هـ/874م قال: "... وقائع كثيرة يطول شرحها".

نعتقد أن التركيز على وحدة الموضوع صعّبت عليه إيراد أخبار المغرب باستمرار، لما في ذلك من صعوبة الجمع بين كل الأحداث دفعة واحدة، فكان يهمل أخبار المغرب

سنيين طوال ثم يعود ويؤرخ له، وبالتالي كان التأريخ للمغرب على اختصاره من باب وحدة الموضوع المتمثلة في ذكر أعمال الخلفاء، ولهذا اقتصر على ذكر بعض الأحداث دون أخرى.

الهوامش:

(1) دلال لواتي، عامة القيروان في العصر الأغلبي(184-296هـ/ 800-909م)، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص385.----(2) مجهول، كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح ونشر ووضع الفهارس عمر السعيدي، نشر معهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، مطبعة الكاثوليكية، بيروت، ج4، القسم 2، ص510

(3) أنطوان خليل ضومط، التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، دراسة نقدية في المناهج، دار لحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005، ص 124.----(4) كتاب العيون والحقائق، ج4، ق1، ص94 ----ج3، ص71. ، ليدن، 1871،(J. Brill) (5) كتاب العيون والحقائق، نشر ج. بريل ----(6) المصدر نفسه ،ج3، ص65. ---(7) نفسه، ج3، ص60 ---(8) نفسه، ج3، ص206

(9) نفسه، ج3، ص111.---(10) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883، ج2، ص3

(11) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه كمال حسن مرعي، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ج1، ص20.---أنطوان خليل ضومط، التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، ص160 (12)

(13) كتاب العيون والحقائق، ج3، ص62 ---(14) نفسه، ج3، ص60

(15) أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الثعلي البحتري الكوفي، كان راوية إخباريا، واختص بمجالسة المنصور والهادي والمهدي والرشيد وروي عنهم. له عديد المؤلفات أغلبها عن تاريخ وحضارة الكوفة. للمزيد يراجع ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج6، ص106-114.

(16) العيون والحدائق، ج3، ص114-152-153

(17) لم يتبين لنا إن كان هو هشام بن محمد الكلبي(204هـ/819م)أم محمد بن سائب الكلبي الكلبي(ت146هـ/763م)، لأنه لم يأت على ذكره إلا مرة واحدة. المصدر نفسه،ج3، ص153.

(18) أصله من المدينة المنورة، ودخل بغداد بعد تعرفه على الخليفة هارون الرشيد بمكة المكرمة في موسم الحج، وربطته علاقة وطيدة بالخليفة المأمون(198-218هـ/813-833م) والبرامكة، وظل بها إلى غاية وفاته. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص348.

(19) كتاب العيون والحدائق، ج 3، ص4.---(20) التعريف بعديد مؤلفاته يراجع ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص144-145.----(21) مجهول، العيون والحقائق، ج3، ص4، 210، 230، 279

(22) من كبار حفاظ الحديث، له كتاب " التاريخ الكبير" وهو من أهل فسا بإيران، واستقر بالبصرة إلى أن توفي. يراجع الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، تح علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9.1413-1993، ص180 -184.

(23) العيون والحدائق، ج3، ص112---- (24)هو أبو بشر محمد بن أحمد بن سعيد بن مسلم الأنصاري، نسب إلى الدولاب من أعمال الري، مؤرخ من حفاظ التاريخ وعمل وراقا، ورحل في طلب الحديث واستقر بمصر، وتوفي بين مكة والمدينة في طريقه إلى الحج. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 2002، ج5، ص308.

(25) العيون والحقائق، ج4، ص8

(26) هو أبو بشر العمي، من متكلمي الشيعة وفقهائهم ، من أهل البصرة/ من مؤلفاته" التاريخ الكبير" والتاريخ الصغير" و"أخبار صاحب الزنج" و" مناقب علي رضي الله عنه". الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء الثراث العربي، بيروت، ط1، 2000، ج6، ص134. ---(27) أبو الحسن المدائني مؤرخا وأديبا من البصرة، وسكن المدائن، وأكثر مؤلفاته مفقودة، ولم تحفظ إلا من خلال بعض المصادر كالطبري والمسعودي، أبو الفرج الإصبهاني، ابن عبد ربه وكتاب العيون والحدائق لمجهول.

(28) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص35، 114، 121، 128، 130، 145، 146. ---(29) المصدر نفسه، ج4، ق1، الهامش رقم 1، ص131. ---(30) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج1، ص15 ---(31) نفسه، ج4، ق2، الهامش رقم 1، ص 433، الهامش رقم 1، ص391 ---(32) نفسه، ج3، ص112 ---(33) نفسه، ج4، ق2، ص402. ---(34) نفسه، ج4، ق2، ص 411،

412، 413. ---(35) نفسه، ج3، ص145. ---(36) العيون، ج3، ص233. ---(37) العيون والحدائق، ج3، ص288. ---(38)العيون والحدائق، ج3، صص3 ---(39) لم تعرف الفتح الإسلامي إلا سنة 290هـ، تفاصيل أكثر عن الجزيرة يراجع: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص567.

(40) ابن خلدون، العبر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، ج1، 1573.

(41) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج. س. كولان وآخران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، مج، ص41.----(42) العيون والحدائق، ج3، ص3.---(43) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، 1414--1994 ص55،---(44) العيون والحدائق، ج3، ص 262.

(45) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، ج1، ص74-75. ----(46) العيون والحدائق، ج3، ص264-265 ----(47) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص77-78)

(48) العيون والحدائق، ج3، ص299 ----(49) العيون والحدائق، ص 303.---(50) العيون والحدائق، ج4، ق1، ص83. في الرواية المغربية، بذاك الموضوع ما يخالف تماما ما جاء به صاحب العيون والحدائق، بحيث الأمير أحمد بن إبراهيم الأغلبي قرب إليه السودان في قصره وكانوا في 5 ألاف أسود ، بسبب قتله الجماعي لجند بلزمة، وثوران مناطق عديدة من إفريقية عليه. ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص123. ---(51) نفسه، ج4، ق1، ص83 ---- (52) نفسه، ج4، ق1، ص 84---(53) نفسه، ج4، ق1، ص13 --- المغربية أن الوباء والطاعون نتيجة الريح الصفراء على خلافه " تشير المصادر . (54) العيون والحدائق، ج4، ق1، ص 203---- عرفته كل بلاد المغرب والأندلس، ووصفت بريح شديدة السواد. ابن أبي زرع الفاسي، الروض القرطاس، الرباط، 1972، ص98. وعند آخر "ريح مظلمة صفراء دامت أيام" معددا نتائجها الكارثية ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص182.

(55) العيون والحدائق، ج4 ق1، ص12-13 ----(56) العيون والحدائق، ج4، ق1، 473 ---(57) العيون والحدائق، ج4، ق1، ص172 ---(58) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986، ص328.---489العيون والحدائق، ج4، ق2، ص (59)

(60) اختلفت الروايات حول سنة تأسيسها، في رواية أسست سنة 334هـ/945م. ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح جلول أحمد البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص34. وعند ابن عذاري المراكشي تأسست سنة 336هـ. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ص219. وكانت سنة 337هـ/948م. البكري، المسالك والممالك، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج1، ص198---(61) العيون والحدائق، ج4، ق1، 179.

(62) ترجمته في الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص132. الزركلي، الأعلام، ج1، ص85. ---(63)ممن ترجم له: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص197. ---454العيون والحدائق، ج4، ق2، ص (64) مجهول، --- (65) مجهول، العيون والحدائق، ج4، ق1، ص 179-177-176

(66) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص89-91.---(67)العيون والحدائق، ج4، ق1، ص84 ----(68) العيون والحدائق، ج4، ق1، ص140 --- (69) أنطوان خليل ضومط، التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، ص124 ---- 92العيون والحدائق،ج4، ق1، ص (70) ---(71) العيون والحدائق، ج4، ق1، ص46 ---(72) العيون والحدائق، ج4، ق1، ص62 ---(73) مجهول، العيون والحدائق، ج4، ق2، ص395.

(74) العيون والحدائق، ج4، ق 1، ص34 ----(75) العيون والحدائق، ج4، ق1، 92